نـافـذة

بيتهوفن بين غوته وشيلر

نستشف من خلال سيرة حياة، بيتهوفن، أن مصادر النور العظيمة التي أضاءت له الظلمة، كان مصدرها «هوميروس» والكلاسيكية القديمة، و«بلوتارك» و«شكسبير» و« شيلر» و«غوته» والثورة الفرنسية.

ومن يستمع إلى موسيقا هذا العملاق الخالد يستطع أن يلمس بجلاء الملامح الأخاذة التي تميّزت بها موسيقاه، ووفرة ما فيها من خواطر سامية فاقت بكثير كل ما أمكننا العثور عليه في الموسيقا التي سبقته.

لقد تأثر بيتهوفن بروحانية الشاعر الألماني الشهير «غوته» ونظرته الإنسانية الشاملة، وأفكاره العالمية، كما كان لفلسفة «شيلر» السامية، التي عرف عن طريقها أخلاقيات «كانط» الصارمة، فكان لها أكبر الأثر عنده، وخاصة في غناء «التراتيل» وهذا ما جعل ألحان بيتهوفن تتميز عن غيرها من ألحان المؤلفين الموسيقيين الآخرين وأي إسراف في الإشادة بتأثير «غوته» و«شيلر» على بيتهوفن والموسيقا التي جاءت فيما بعد، لن يكون مبالغاً فيه، يتجلى أثر «شيلر» بصفة أساسية في الاتجاهات الدرامية للموسيقا الألمانية التي جاءت فيما بعد، وفي مظهرها الأخلاقي، كما يتجلى أثر «غوته» فيما ظهر فيها من شاعرية سامية، وهناك من يؤكد القول: «بغير شيلر، لا وجود لبيتهوفن أو شيلر وبغير غوته لن يكون هناك شوبرت أو شومان أو مندلسون أو برامز» وامتد أثر الصادر عن هذين العقلين الجبارين إلى ما هو أكثر من الموسيقا الألمانية، ويمكن ملاحظة هذا الأثر في كل مكان من أوروبا، أي في فرنسا وإيطاليا وروسيا والبلدان الإسكندنافية، ولعل أوضح مثل يمكننا أن نجده لشيلر، وبصورة ملموسة، في السيمفونية التاسعة بنهايتها المجيدة (نشيد الفرح)، وإن كان أثره قد بدا واضحاً أيضاً في «سوناتاته» وافتتاحية «فيديليو» والسيمفونيتين الخامسة والسابعة».

لقد جاءت موسيقا بيتهوفن ذات طابع أخلاقي.. لقد صدرت عن تعبير مباشر مخلص، صادر عن روح عظيمة شعرت بالإشفاق على آلام الآخرين وشقائهم، كما شعرت بالحقيقة والواجب والإنصاف، فجاءت تلك الموسيقا ترديداً لهذا الشعور في صورة متألّقة، بهية بفعل مثاليتها البهيجة المجيدة، وروعة أشجانها وتفانيها في الخشوع للقدرة الإلهية.. كل هذه السمات قد بدت في صورة فنية مقنعة خالصة.

لقد امتلأ كيان بيتهوفن كله بهذه الروح العظيمة المتأججة بأسمى الآمال الإنسانية وأنبلها، وتركت هذه الروح أثراً واضحاً، وطابعاً مميزاً على نشاطه الفني برمته.

عندما قام بيتهوفن بالبحث عن أوفى وأبلغ تعبير في حياته العاطفية، اكتشف عالماً جديداً، فمهد بذلك الطريق أمام جميع الموسيقيين الذين أتوا بعده خلال قرن من الزمن، وظلت موسيقاه منذ ذلك الحين أساساً لكل ما جاء فيما بعد في القرن التاسع عشر، وأصبحت له أهمية موسيقية عالمية، لا تدانيها أهمية، واعتبرت أعماله مدرسة عظيمة في عالم الموسيقا، لقد اكتشف عوالم جديدة، لم يكن في مقدور أحد غيره أن يكتشفها، وتبين مسودات أعماله، الجهد الكبير الذي بذله عند إقدامه على أي مشروع جديد، وكانت غايته الوحيدة من كل هذا الجهد، هي التعبير عن أفكاره تعبيراً يتميّز بالوضوح والإقناع، وبذلك حصد ما أراد من نجاح وسمو وعظمة، لأن موسيقاه تضم مثل مؤلفات «غوته» و«شكسبير» كل ما يجري في عالم العاطفة الرحيب، وفيها أهواء ومشاعر عميقة، وفيها مرح ودعابة، إلى جانب الأشجان والمآسي، أي إنها جمعت بين ما هو شاعري وما هو درامي.. أي إنها تنتمي بقوة إلى هذا العالم، كما أنها تعلو عليه.. لذلك جاءت وبقيت خالدة، معبرة عن أعظم مظاهر عبقرية الخلق والإبداع في البناء والتعبير العاطفي والسمو العقلي.

د. علي القيّم

بالوثائق قصة الصراع على سورية

الوطن

«... على قاعدة «اشتدي أزمة تنفرجي» نأمل بأن يأتي الفجر من ظلام هذه السنوات الحالكة التي تعيشها أمتنا بسبب الفتن والحرب والعمل الاستعماري المكثف لإبقائنا في تخلفنا المذهبي والديني والحضاري، تخلفاً يرى الله قائداً لحزب لا خالقاً محباً عطوفاً رحيماً، ويرى الدين أداة ذبح وقتل وسحل لا وسيلة ارتقاء بالمخلوق إلى مصاف العبد الصالح، والأخ المحب للشقيق في الإنسانية أو للأخ في الدين وإن تعددت اجتهادات فهم الدين.

هو الأمل بأن يسود أمتنا الخير بدل الشر، والوئام بدل الفتن. أملٌ بمستقبل نرى فيه مذاهبنا سبباً للمنافسة في الخير لا للمنافسة في التكفير والقتل، وأن يكون الدين لله، وبلاد الله لكل ساكنيها بتساوٍ وعدل واحتضان». اجتزأنا هذا المقطع من مقدمة كتاب: «بالوثائق قصة الصراع على سورية» للمؤلف د.«عبد الحميد عباس دشتي». يدخل المؤلف في توصيف للإستراتيجية الدولية والإقليمية للجمهورية العربية السورية، ويؤكد إدراك الرئيس الراحل لهذه الإستراتيجية من خلال وعيه للتغيرات الدوليّة وتحالفه مع إيران التي انتقلت من حضن الغرب إلى الاستقلاليّة، فكان التحالف معها هو الاتجاه السليم. ومنه انطلق المؤلف في إلقاء بعض الإضاءة على العلاقة السوريّة الإيرانيّة والتي تعدّ أنموذجاً للتعاون العربي الإيراني ضد الهيمنة الأميركيّة والحلف الإسرائيلي.

يتساءل المؤلف في أحد فصول الكتاب: هل كان الرئيس حافظ الأسد معادياً للشعب الأميركي؟ وتأتي الإجابة من خلال توثيق «بثينة شعبان» للأحداث التي جرت بين الأميركيين والرئيس الراحل، والتي يستشف منها أن الرئيس الأسد رحمه الله لم يكن معادياً للشعب الأميركي بل كان مناهضاً لسياسات حكامهم وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الدولية. وهنا لا بدّ من استذكار الأبعاد الثلاثة التي ركزت عليها «شعبان» في التفاوض وهي:

١- وحدة المسارات، لكن بعد انفراد الفلسطينيين والأردنيين باتفاقاتٍ خاصّة مع إسرائيل بقي التمسك بوحدة المسارين السوري واللبناني.

٢- الإصرار على الانسحاب الإسرائيلي إلى حدود ٦٧ من دون المساس بشبر واحد من الأرض.

٣- الحفاظ على استقلاليّة سورية وكرامتها وقدرتها الدّفاعيّة.

احتوى الكتاب على الكثير من العناوين المهمّة التي تدعو للبحث فيها والتوثيق لها ومن هذه العناوين اللافتة: «المخطط الأميركي والمنفذون عربٌ وتكفيريون والرابح إسرائيل»، و«هل ذهبت نتائج انتصار حرب ٢٠٠٦ سدى؟»، و«الأساطير المؤسسة لثورة التكفيريين في سورية»، و«الفكر التكفيري في سورية وقود الثورة ومصنع الإرهاب»، و«الفرق بين الوهابيّة وبين مذاهب أهل السنة الأربعة وخصوصاً المالكي والحنفيّة والشافعيّة»، و«التمهيد لتفتيت المنطقة العربيّة إثنيّاً... مصر وسورية والعراق»، و«ماذا يقول الأميركيون أنفسهم عن خططهم في سورية»، و«الجدول الزمني للأزمة السورية»، و«أساليب الثورة الأوتوبوريّة»، و«نماذج من عناصر تحريك الحروب الناعمة».... وغيرها. ضمّ الكتاب الكثير من الوثائق التي رصدها لتكون نماذج تروي حكاية من التورط الخارجي في دعم الإرهاب والمسلحين في سورية بالوثائق، وجاءت هذه الوثائق مرفقة بصور ورسائل وبيانات تخصّ جمعيات أنشئت لتنفيذ المخططات بعناوين إسلامية ومضامين تخريبيّة، وبرقيات من وزارة الخارجيّة السعوديّة، ومنها ما جاء باللغة العربية ومنها ما ورد باللغة الإنكليزيّة».

البدايات كانت مع الكلمة والأحاسيس والورقة والقلم

«أميّة ملص» لـ«الوطن»: أحنّ للسينما دائماً ولست عاشقة للمسرح

عامر فؤاد عامر

أمية ملص مع الزميل عامر فؤاد عامر – «تصوير: طارق السعدوني»

امتلكت أحاسيس الفنان فشقت الطريق بهدوء وحافظت على توازنها في انتقاء الأدوار التي تناسبها أمام الكاميرا، فأحبّها الجمهور في مسلسلات: «البديل»، و«يوميات مدير عام»، و«باب الحارة»، ومؤخراً في «عطر الشام»، و«صدر الباز» وغيرها، لكنها تميل في الأصل للسينما والتجربة فيها، وتقول بأن السينما تستهويها أكثر من المسرح، وفي طفولتها تعلّقت بصورة الأنثى في السينما كثيراً. وعن السينما وآخر تجاربها فيها «ليلة عيد» وعن تجربتها في التلفزيون وعلاقة الأمومة بالفنّ ومواضيع كثيرة عن البيئة والتربية والكتابة ومفاصل أخرى كان هذا الحوار مع الفنانة «أميّة ملص».

لم أندم على عمل اشتغلته في حياتي وكلّه يصب في باب التجربة والتنوّع

مقدمات وذكريات

التقينا الفنانة «أميّة ملص» إحدى خريجات المعهد العالي للفنون المسرحيّة في دمشق، وهي نموذج للفنان السوري الأكاديمي صاحب الموهبة، والقادر على التأقلم مع التطوّرات والتغيّرات، وكانت بداية الحديث أن هناك مفاصل تدفع الفنان للتوجّه نحو الدرب الفني، فتكون مهنته وكلّ حياته فيما بعد، وعن هذه المفاصل والترتيبات كانت إجابتها: «لم تكن الأمور بهذا التنظيم والترتيب الواضح، ولم تأت بهذا القرار الناضج، والسبب هو المرحلة العمريّة التي كنت فيها، لكن هناك ما تأثّرت فيه عاطفيّاً ووجدانيّاً، فعندما كنت أتابع مراحل تصوير الأفلام السينمائيّة التي يخرجها والدي «محمد ملص» كنت أتأثّر كثيراً، وخاصّة في فيلم «أحلام المدينة»، وهو عمل ضخم احتوى على لوكيشنات تاريخيّة مهمّة، وكان والدي يشدّد على الإخلاص في الشغل، والجديّة في العمل، وهذا الجمال ما زال محفوراً في دواخلي، وهو ما أثّر فيّ، وكثير من ذكريات تلك المرحلة علقت في الوجدان. إضافة إلى الأفلام السينمائيّة التي تابعتها في الصغر، فمشهد الأنثى في السينما العالميّة بقي صورة مؤثرة جداً، فظهورها جميل جداً، كما في فيلم «كارمينا بورانا» والكثير من أفلام تلك المرحلة».

التربية والبيئة

انتقلنا إلى البيئة، ومدى تأثيرها في الفنانة «أميّة» في اختيار المهنة، وهل من عوامل أخرى كانت محرّضة على هذا الاختيار؟ فتقول: «أولاً التربية مؤثّر أساسي في شخصيّة كلّ إنسان، ولا سيّما في السنوات السبع الأولى، لكن ما زادني تأثّراً هو أني دخلت الجوّ الفنّي بسبب دراسة والدي في الاتحاد السوفييتي، فكثيرٌ من اجتماعاته مع المخرجين ومع الطلاب، كنت أتابعها وأحضرها، ومنها ما كان بشأن التمثيل، والإخراج، وكتابة السيناريو، وغيرها. ولذلك شعرت بأنه لا شيء أهمّ من هذا الأمر في الحياة، لكن أنا كـ«أميّة» كنت أكتب الأشعار والخواطر في بداياتي، ولي أسلوبي في التعامل مع الأحاسيس والكلمات والورقة والقلم، وبعد عودتي من روسيا عشت في الحارات القديمة لدمشق واخترت صديقة لي أحببتها من دمشق، وكنت أتعاطف مع جانب إنساني خاصّ بها فقد كان لديها ظروفها الماديّة الصعبة. لكن في النهاية أذكر أن الذي تربيت عليه هو جوٌّ يميل إلى الثقافة أكثر من الميل إلى الفنّ، فوالدي ووالدتي لديهما مستوى معين مفروض على المنزل من الموسيقا التي نستمع إليها وطريقة التعامل في الحياة وتفاصيل أخرى كثيرة، وهناك ملاحظة أيضاً أن البيت الذي عشت فيه في دمشق؛ كان بيتاً له علاقة بالجانب الدّيني الصوفي، فأهل والدتي لهم زاوية دينيّة، وعلى علاقة بالصوفيّة، فكلّ هذه العوامل أثّرت فيّ وقدّمت زرعاً مناسباً للفنّ بطريقة صحيّة».

بناء الشخصية

استكمالاً للإجابة السابقة لا بدّ من التطرق لموضوع الدراسة: «تضيف الدراسة كثيراً لأي شخصّ، لكن التربية التي اعتدناها في البيت تتمحور في أن كلّ فرد منّا لا بد أن يكون له تحصيله العلميّ الخاصّ، وهناك جدّية في التعامل مع هذا الأمر، وكان الوالد مثالاً لنا في البيت في هذا الأمر، ومثالاً في بناء الشخصيّة، وبذلك تكون القرار في دخولي إلى المعهد العالي للفنون المسرحيّة، والاستقلال في خطّ جديد مختلف عن أهل بيتي ويوازي ما تربيت عليه، واليوم يمكن القول باختصار إن خطّي له علاقة بالتمثيل، وهو متميّز عن عمل والدي، وما يعنيني هو الناحية الأخلاقيّة في الفنّ وليس أن يكون تجارة ومقايضة في الحياة، ولذلك لم أندم على شيء اشتغلته، فكلّ ما قمت به يدخل في باب الخبرة، والتجربة، والتنوّع».

مع شكران مرتجى و وفاء موصللي في مسلسل «باب الحارة»

سينما

الفرصة السينمائيّة قليلة في حياة الفنان السوري، فما فرص السينما التي ظهرت في حياة الفنانة «أميّة ملص» وعلى هذا المحور كانت إجابتها: «في السنة الأخيرة شاركت بفيلمين سينمائيين الأوّل «فانية وتتبدد» مع المخرج «نجدة أنزور»، وفيلم «ليلة عيد» الإيراني، وهو من بطولتي، من إخراج «عباس لازوردي»، والعمل في السينما مختلف، وممتع بالنسبة لي، والعمل مع المحترفين شيء مهمّ جداً، وفي الفيلم الإيراني كان النقل بأمانة، فهو يتحدّث عن الحرب في سورية، وعن إحدى المناطق التي هُجّر الناس منها بسبب هذه الكارثة، وهناك توثيق درامي بأمانة، وحكاية دراميّة جميلة، وكان التصوير في منطقة السيدة زينب في دمشق، واشترك في التمثيل الفنانون: «نادين خوري»، و«أوجا أبو الدهب»، و«علي صطوف»، و«ريمي سرميني»، والفيلم عُرض في مهرجان الفجر في طهران. ولي مشاركات سابقة في فيلم «الليل» الذي كان أثناء دراستي في المعهد العالي، وبعد التخرج فيه جاء فيلم «المهد»، وفيلم «باب المقام» وكلّها من إخراج والدي «محمد ملص»، لكن والدي منحني فرصة المشاركة في فيلم «أحلام المدينة» وأذكر مناقشته لي، وكنت طفلة حينها، فعاملني بجديّة الكبار للحصول على هذه التجربة، وكان جادّاً وحريصاً أن أكون مسؤولة عن قراري وتجربتي. أيضاً لي تجربة مع المخرج «باسل الخطيب» في فيلم «مريم». أمّا في السينما القصيرة فلا مشاركة لي في أيّ فيلم للأسف».

مفاصل

أمّا عن المسرح فكان حديثنا التالي: «لست عاشقة للمسرح بقدر عشقي للسينما، فأحن إليه بحدود فقط، فأميل للسينما دائماً، لكن أحبّ مسرح الطفل كثيراً، والتعامل مع الأطفال مهمّ جداً لي فالأطفال صادقون في ردّة فعلهم، وفي تفاعلهم مع الممثل».

تساءلنا أين مكان الكتابة اليوم من حياة الفنانة «أميّة ملص» ولا سيّما أنها حالة تشكّلت لديها منذ البدايات، وتجيب: «أصبحت الكتابة اليوم من المنسيات للأسف، فهناك حوادث حصلت في حياتي جعلتني أبتعد عن عالم الكتابة، فكنت أجد أن الألم يجب ألا يدخل في تفاصيل الكتابة، وخوفي أن تكون الكتابة متنفساً فقط جعلني أعمل على هجرتها».

«البديل» للمخرج «فردوس أتاسي»، و«الخيط» للمخرج «غسان جبري»، كانت من المسلسلات التي قدّمت الفنانة «أمية ملص» بطريقة جميلة، أحبّها الجمهور فيها فنانة تصقل أدواتها، وتحترف في مهنتها، لكن اليوم اختلفت الحال فلم تعد الفرص كما كانت في السابق، وحول هذه الفكرة تقول: «الفرص سابقاً كانت أفضل بكثير، وأعزو ذلك إلى عدد الفنانين المحدّد، أمّا اليوم فهناك سهولة في دخول الوسط الفني، والعمل فيه، على حين سابقاً كان هناك مسؤوليّة للعمل الفني، ولم يكن باب التجارة، كما اليوم، مفتوحاً على هذه المهنة. ويزعجني أن استذكر هذه الأمور فهذا يسيء للفنّ وعلينا ألا نكرسه في حياتنا. في تلك الفترة حاولت أن أحافظ على المستوى الذي بدأت فيه، لكنني ابتعدت فترة عن العمل لظروفي العائليّة، وحاولت العودة بصعوبة، لكني عدت والحمد لله».

تعدّ الفنانة «أميّة» الأمومة أهمّ مرحلة في حياتها الشخصيّة، وهي إنجازٌ خاصّ كما تقول، ولا يؤثر الموضوع في المهنة بتوافر أشخاص داعمين، وهذا ما حصل معها، وتشير أيضاً: «بعد تجربة كهذه أصبحتُ أكثر مسؤوليّة، وأكثر دقة للاختيار في العمل، وأصبحت نظرتي أعمق فشاركت ابنتيّ الرأي وأصبحت أوسع دائرة المناقشة معهما، وكان هذا الأمر ضرورة، وطريقة لولادة الفكرة، والمناقشة معاً، وهذا ولّد نتائج رائعة في العلاقة معهما، وهناك نقد متبادل والتزام في كلّ خطوة، وما يهمني المحافظة على اسمي ومكانتي، وسعيت لفكرة أن تكونا أكثر فخراً بوالدتهما في هذا المجتمع بمتاعبه وقسوته وصعوباته».

بين الجزأين

حقق مسلسل «يوميّات مدير عام» شهرة كبيرة للفنانة «أميّة» لكن بمرور ١٨ عاماً كفارق زمني بين تصوير الجزأين، لا بدّ من صعوبة في استحضار تفاصيل الشخصيّة نفسها وشكل الجسد قد تغير مع ملامح الوجه وغيرها، وحول هذه الفكرة تقول: « هناك مقاربة بين تفاصيل الشخصيّة ونضوجها لكي تشبه نفسها في الجزأين، فاعتمدتُ على صفاتها في الجديّة والالتزام، فقد كانت في الجزء الأوّل لا تحبّ الغلط، وتحافظ على الحقّ، وهي أقرب لشخصيّة والدها العادل، فورثت الطبع منه، وهذا ما حافظت عليه بالتأكيد، كما كان الجزء الثاني له مساحة جديدة للشخصيّة من خلال ميدان عملها كقاضية، لكن لعبت على الشكل أكثر واهتممت به ولا سيما أنني تغيرت في الحقيقة أيضاً. إضافة إلى النضوج في التمثيل فهناك بعض التفاصيل التي أضع عليها ملاحظات في الأداء، وذلك في الجزء الأوّل، على حين في الثاني فقدّ منحتُ الشخصية اكتمالها».

بوران

كان لشخصيّة «بوران» في مسلسل «باب الحارة» تميّزها عربيّاً، وتعزو «أميّة» نجاح ذلك إلى الأسباب: « لا يمكن إغفال دور الممثل وتعبه، بالإضافة للإخراج الذي قدّمه «بسام الملا» فهو يضع كلّ شخص في مكانه المناسب، وهذا ما يلعب دوراً مهمّاً في نجاح العمل بصورة أكبر». وحول النقد الكبير الذي وجّه لمسلسل «باب الحارة» كانت إجابتها: «هناك ظروف معيّنة جعلت من المخرج «بسام الملا» يبتعد، ويوكل مهمة الإخراج لأشخاص معينين، وهذا ما جعل العمل يكتسب روحاً مختلفة عن الروح التي قدّمها «بسام الملا» في الأجزاء الأولى، وهنا يقف دور الممثل فلا قرار له في ذلك، وبالنسبة لي كان من واجبي أن أحافظ على شخصيّتي والعمل عليها ما أمكن، وعلى الرغم من ظلم المساحة في الأجزاء الأخيرة، فوجودها كان أهم في السابق مما هي عليها اليوم». وعن معنى هذه الشخصيّة بالنسبة لها فتضيف: «بوران تعني لي البنت الحنون التي تحبّ عائلتها، وتسعى للمحافظة عليها، فهي مثلها الأعلى ومصدر الفخر لها، وإضافة إلى الصبر، وتحمل الضغط من زوجها مقابل المحافظة على عائلتها».

شاركت الفنانة «أميّة ملص» في الموسم الأخير بمسلسلات «باب الحارة» و«عطر الشام» و«صدر الباز» وثلاثيّة «مدرسة الحبّ» وعن مشاركاتها تقول: هذا ما تقدّم لي، وأنا أطمح لأفضل منها بالتأكيد، ولكن هذا ما كان متاحاً، ولا بدّ أنني أحاول أن أجد حلاً من خلال مدير أعمال ومسوّق ناجح لكن هذا غير متوافر اليوم في سورية». وعن المسلسل الأفضل للموسم السابق تقول إنه «مسلسل الندم» وسبب ذلك النص والإخراج المتكاملان».

التكنولوجيا ومتعة التواصل

أنس تللو

عدوٌّ لدودٌ ودودْ... ليِّنُ العريكة، سهلُ المأخذْ، يُقبل عليكَ باسماً ضاحكاً، ينقلُ إليك أفراحَ الآخرين، ويُسجي إليك بأخبار الجميع، يقدم لك سعادةً ومتعة حين يطير بك بجناحين من إحساس دامغٍ وخيال نشط ليصل بك إلى أبعد نقطة عنك في العالَم، تُمضي معه الأيام الطوال، وتسهر معه الليالي البهيجة، تسرحُ وتمرح معه دون وعي أو إدراك، حتى إذا ما بادلك ابتسامةً عريضة ظهرت أنيابه فما تميز أأنياب شر هذه يُراد لك منها أن تصاب بأذى، أم ضحكات سعادة وسرور... وما يزال هكذا لكَ يبتسمْ وما تزالُ أنتَ معهُ تنسجمْ حتى تكتشف يوماً فجأة أنه كان يعطيكَ حلاوة باليمين وينهش لحمك باليسار ويشرب من دمك ملءَ فيه.

يسرق من وقتك، ويسلب من حيويتك، ويأخذ من مالك، ويطغى على عقلك ؛ ويكاد أن يقضي على أعصابك... لتعرف فيما بعد أي سعادة موهومة تلك التي كنتَ تعيشُها، ولتدركَ متأخراً أيَّ عذاب مبطَّن كان يخبِّئُهُ لك بين جناحيه، ولتُفجعَ لاحقاً بما سبَّبه لك ولأولادك وأهلك من أمراض روحية وأعراض جسدية تدفعها ضريبة قاسية لمتعة زائلة.

إنه الموبايل والواتس آب والكمبيوتر والفيس بوك.

لا تفتأ العولمة الحديثة بوسائلها المتطورة تقدم لنا اختراعات مفيدة نافعة تقرّب البعيد، وتسد حاجاتنا النفسية من متعة التواصل. ولا ننفكُّ نحن ولا نملُّ من إساءة استخدام كل ما يفد إلينا وتحويله من أدوات نافعة لنا ولمجتمعاتنا إلى أسلحة فتاكة ضارة بنا وبأولادنا.

وفيما يلي بعض المضار الناجمة عن استخدام وسائل الاتصال الحديثة (الواتس آب والفيس بوك وسواها):

١- على الصعيد الفكري:

إن هذه الساعات الطويلة التي يقضيها الأولاد مع الموبايل تجعلهم ينعزلون عن العالم ؛ فيقل اكتسابهم للمعارف والخبرات من الأهل والأصدقاء، كما يصرفهم أيضاً عن اللعب ومتعته مع أقرانهم، فضلاً عما يسببه هذا السهر على الموبايل من تأخر في نوم الأولاد ما يؤدي إلى اعتلال صحة الجسم، فضلاً عن الخمول الذهني وتعطيل ذكاء الطفل.

٢- على الصعيد الأسروي الاجتماعي:

لقد غيّر الواتس آب عاداتنا وقضى على مباهجنا، إذ الحدائق غدت شبه فارغة... الصمت قاتل... حافلات الركاب ملأى بشبان وفتيات هم أشبه بالدمى المتحركة ؛ كل منهم يحمل جهاز الموبايل ويخفض رأسه عليه... لا أحد يخاطب أحداً... الأسر تفككت، والأسرة تباعدت، لا أحد يقرأ.

أنا لا ألوم الواتس آب ولا ألوم التكنولوجيا... إنني ألقي باللائمة كلها على الأهل وعلى الأسرة.

٣- على الصعيد الجسدي الصحي:

- إن عدم مراعاة وضعية الجلوس الصحيحة أمام الحاسوب تؤدي إلى انحناء في العمود الفقري ولا يخفى ما لذلك من أضرار جسيمة على الجسم... وقد يوصل مبكراً إلى حدبةٍ الظهر.

- وإن عدم استخدام واق بصري في أثناء الجلوس الطويل على الحاسوب من شأنه أن يضعف البصر وربما أدى إلى اعتلال في شبكية العين.

- إن الإمساك المتواصل ضمن وضعية واحدة للماوس أو للموبايل قد يؤدي إلى انقراص في فقرات الظهر أو تمزق في أربطة الكتف.

بدأت التقنيات الحديثة (تسرقنا) من أهلنا، وتسرق أطفالنا منا.. بل بدأت تسرق مشاعرنا وعواطفنا لتسخرها لخدمة أهداف أخرى بعيدة كل البعد عن التربية الأصيلة السامية التي كانت تزرع في نفوس الأطفال مشاعر الاحترام والتبجيل وأخلاق الإيثار والتسامح.

لكن ليست وسائل الاتصال هي التي تحتاج إلى ضبط، وإنما نحن بأمسّ الحاجة إلى ضبط من يتعامل مع تلك الوسائل، وإلا فإن الأجيال القادمة لن تتمكن من أن ترقى إلى المستوى الملائم أو المناسب من الحياة الاجتماعية اللائقة ضمن مجتمع منضبط تسوده أواصر المحبة والاحترام.

ولا أبالغ هنا إذ أقول: لقد فكك هذا العدو الذي يسمونه مواقع التواصل الاجتماعي، فكك عُرا التواصل الاجتماعي، وأزال لحمة التواصل الأسروي التي كانت سائدة.

يقولون إنها مواقع للتواصل لكنها في حقيقتها أفقدت التواصل.

قالوا إنها تقرب البعيد، إنها في الواقع تقرب البعيد، لكنها تبعد القريب.

وهل يعقل أن نتواصل مع صديقنا الحميم في قارة أخرى، ونتقاطع مع صديق آخر يقطن في حيّنا... نقاطع آباءنا وأمهاتنا، وأخوتنا وأخواتنا... ننسى أولادنا ونهمل زوجاتنا وأزواجنا.

هذه ليست وسائل تواصل اجتماعي إنها مواقع لمصاصي الدماء وناهشي الأفكار وسارقي الأعصاب ومدمري العقول... وقاتلي النفوس.

إن عقداً قادماً من الزمن كفيل -إن استمر الحال هكذا- بأن يحيل بعضنا أو أكثرنا إلى ما يشبه الدمى المتحركة، ولسوف يسير أحدنا في الشوارع على غير هدى، متبلّداً مخبّلاً غائباً ضائعا... هذا ما سيحصل لنا، فما بالك بما ستؤول إليه حال أطفالنا.

إن وسائل الاتصال الحديثة نعمة كبرى، لكن سوء استخدامها منا هو النقمة.